

فخ الهويات القتالة

◆ نظام مارديني

هل دخلت دول الهلال السوري الخصيب مرحلة إعادة إنتاج الجغرافيا السياسية الداخلية على أساس فكرة المكونات الإثنية والطائفية؟ وهل صناعة جغرافية سياسية جديدة لبعض هذه الدول هي الحل للنضال «العرقطاني» و«الطائفمذهبي» والاحتراب الدائم؟ وهل أن الولادات «الأميبية» (المتحولة) للدوليات هي حل لأزمات بعض هذه الدول الفاشلة، الفاقدة للوحدة الوطنية والهوية الوطنية المتخيلة؟ وهل تقتت «سايكس-بيكو» هو الحل الأحدث لنضال الإثنيات والطوائف والمذاهب التي أجهضت مشروع الدولة الوطنية أو القومية؟

يحاجج البعض بالقول إن رؤية مراكز القرار الدولي الراهنية تتمحور حول إعادة إنتاج جديد للجغرافيا السياسية لاكثر من دولة، وتحديدًا في العالمين العربي والإسلامي، حماية للمصالح الاستراتيجية للدول الكبرى، ما يعني أنه سيكون هناك أكثر من «سايكس-بيكو» لتغيير وجه المنطقة وإحداث انقلاب في ثوابتها الراسخة وظهور ما كان يُسمى آنذاك بالمسألة الشرقية، مطلع القرن العشرين.

لكن هل يكفي القول بوجود مؤامرات غربية لتفسير جميع التلاعبات والانقسامات والتفردات الحاصلة والتي ستحصل لشعوب المنطقة ودولها؟

المؤامرات موجودة وستبقى، إنها جزء من حرب المصالح التي لا تتخلى عنها دولة، صغيرة أو كبيرة. هي حرب تتجدد وتتموضع وتتجلى بحسب متغيرات التاريخ، إن لم تكن هي صناعة هذا التاريخ. التاريخ هو أصلاً سجل حروب لمصالح متضادة لأمم ودول.

يدور الجدل منذ فترة بين عدد كبير جداً من الكُتّاب والمفكرين العرب عن شكل الدولة العربية وهويتها القادمة، خاصة بعد تهاوي نظم شمولية في المنطقة كُرسّت هوية عنصرية وهُمشت ثقافات داخلية. وحقيقة الأمر أن هذا الجدل هو في شكل الدولة وهل هي مدنية أم طائفية (سنية، شيعية)؟ وإذا كانت مدنية، هل هي برلمانية أم رئاسية؟ هذه الأسئلة والمناقشات تمهد الطريق بلا شك لاجتماعات تحفر الخنادق كي يتمترس كل منها في الخندق الذي يناسب هويته الخاصة، والغاية من هذه المناقشات هي دفع الإثنيات والطوائف إلى البحث عن هويات ثانوية يتصارعون من خلالها، بعضهم مع بعضهم الآخر لفترة من الزمن.

هذا الجدل يبعثنا عن أساس المشكلة التي تعانها المجتمعات الخاصة في بعض دول الهلال السوري الخصيب، بل يبعد شعوبنا عن جوهر الأزمات وأسبابها، فهذه الأزمات لم تحصل نتيجة تباين في شكل الدولة وهويتها فحسب بقدر ما هي ناجمة عن أوضاع ثقافية واجتماعية، وحتى اقتصادية صعبة يعيشها المواطن، ومن هنا فإن شكل الدولة يجب أن يكون ذا أبعاد وطنية قومية أكثر منها هي ذات هويات ثانوية تحاول فرض نفسها من خلال حلقات من النقاش في مرحلة انتقالية تتسم دائماً بالخطورة وسوء الفهم معاً.

هل الحقيقة الراسخة في هذا الشأن هي، مثلما يقول هارلميس وهولبورن في كتاب «سوسيولوجيا الثقافة والهوية»، في أن «المجتمعات الحديثة تميّزت بالتغير السريع، ازادت في فترة الحداثة المتأخرة سرعة التغير على نحو جعل من الصعب أن يحفظ الناس بإحساس موحد بهويتهم؟»

إننا حتى هذه اللحظة التاريخية أقرب ما نكون إلى قطع الفسيفساء التي تتقارب قطعها ولكنها لا تتحد... نحن مجتمع الجماعات الضيقة المنكفئة والرافضة للآخر الوطني، مجتمع العصبية المذهبية والطائفية والإثنية الغارقة في هوياتها الخاصة على حساب الهوية الوطنية والقومية الأتم. فعندما فشلت أنظمتنا في إنتاج دول المواطنة تساءلنا لماذا نبقت دول الإثنيات والمذاهب والطوائف مثل الفطر السام. وبعدها فشلنا في خلق المشترك الوطني في وحدة الحياة، تضخمت لدينا الهويات الفرعية التي تسعى إلى الانفصال عن الشريك الآخر. ولما فشلت قومية في تحري المشترك الإنساني المحقق لخصوصية ومصالح المجتمع بجميع فئاته وجماعاته وأقلياته، ذهبنا بعيداً نحو الصراع والاحتراب.

من الضروري الاعتراف بأن نموذج الدولة الذي أنتجناه طوال العقود المنصرمة فشل، ولسنا هنا في وارد توجيه النقد بقدر ما نحتاج إليه إعادة صوغ الهوية القومية وبما يوحد الجماعات الإثنية والطائفية والمذهبية. لقد أنتجنا مُسمى «دول»، كيانات سلطة تحتال على مفهوم الدولة وفسفتها ووظائفها، مُسمى «دول» خالية من ضمانات المواطنة والديمقراطية الحاضرة للحقوق والحريات المدنية السياسية والاقتصادية والثقافية، فتعدت الهويات والسلطات والمصالح لتفترس المجتمع بسائر مكوناته، ولتبتلع الدولة والهوية القومية.

المجتمعات فاقدة للوحدة الذاتية المتأتمية من قبيل الآخر، والدول الفاشلة القائمة على أساس أفكار التعصب والاستبداد والاحتكار والفساد... مجتمعات ودول كهذه إنما تحصل جرثومة الغفلة في أحشائها سواء كانت هناك مؤامرات أو لم تكن. لم يعد ممكناً أخلاقياً، في مواقف أهل الفكر والثقافة، مسارية التبسيط والمجاملات في الشائين الوطني والقومي، بل نرى أن من الضروري تغطية المواضيع ذات العلاقة لإعداد القراءة التحليلية للمرحلة الممهدة المقبلة ومنه:

الانقسام الطائفي - الاثني، الخلفيات الاجتماعية - الثقافية وأليات تعميق الانقسام في السنوات الماضية، الدستور وإعادة بناء الدولة، الحراك السياسي القومي والحزبي وآفاق المستقبل، التنمية الاقتصادية المعوقة والنهضة المنتظرة، السياق الدولي - الإقليمي للانقسام في العراق، والأزمة في سورية، وسلوك النخب القائدة في هاتين الدولتين ودورهما في إرساء مقومات الانقسام في الهوية الوطنية.

لا يمكننا القول عن الأزمات التي تتعرض لها سورية والعراق بأنها تتزامن مع حالات سلبية أو ظواهر مستهجنة أو حالات مرفوضة، بل تفرز تلك الأزمات ربما مناطق غير مكتشفة داخل ثنايا المجتمعات وزوايا المبادرات التي تنتج منها، والتي قد تترسّخ في الذاكرة وترتك آثارها في الأجيال الراهنة والمستقبلية سلباً وإيجاباً.

قد يفسر الصدام الدلالي اللغوي وحروب التسميات على المناطق، إلى أي مدى ذهبت هوية تلك المناطق ضحية للصدام بين الجماعات، فكل جماعة بقيت تعيش عزلتها الخاصة. والعزلة تعزز الانكفاء في حدود هوية ضيقة، والعكس صحيح أيضاً. فالعزلة والشعور بالتهديد والارتباب من الآخر تخلق في النهاية سوء فهم عميقاً بين الشعب الواحد، ومن ثم تهتت الأرضية النفسية والمادية للانفصال والانقسام العمودي والأفق.

لذلك فإن أكبر تحد يواجه دول الهلال السوري الخصيب هو محاولة صناعة المزيد من الهويات الفرعية التي تقسم الشعب مسميات جديدة وعناوين تتيح هي الأخرى لصناعتها تيؤء مقعد هنا أو هناك.

لكن من وما الذي يقرّ هوية الجماعة؟ أمي نفسها أم تقلبات ظروفها الحياتية وحظوظها والفرص التي تتاح لها والتحديات التي تواجهها، وفيتم ترغيب وفيتم تأمل؟ أم أن هذه الحالات مجتمعة تغعل فعلها هنا بدرجات متفاوتة إذ تختلف الحال من جماعة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر؟ غالباً ما تدخل الجماعات المتورطة في النزاعات والممسوخة صورتها في خطاب الآخر، على تأسيس صورة زائفة عن نفسها وجماعتها، وستكون تحت ضغط وتأثير موجه عصابي، فتزداد لديها شحنة العدوانية والشروع في العنف. وغالباً ما تدخل هذه الجماعات المتورطة في فخ الهويات «الضيقة» القتالة.

إذا كان الكلام من فضة فالفهم من ذهب

◆ د. سليم حربا

بين المنخفضات الجوية المحملة بالأمطار والثلوج التي تحمل الخير للأرض، وبين المرتفعات الميدانية التي تحملها قواتنا المسلحة الباسلة وتنتشرها خميرة في الأرض وطهارة وتطهيراً، تأتي كلمات الرئيس بشار الأسد في لقائه مع صحيفة «لبيتراني نوفي» التشيكية برداً وسلاماً لتضع النقاط على الحروف الثائفة وتزيد النفوس المطمئنة أطمئناناً، وتضع حداً وسداً للنفوس الأُمارة بالسوء، وتؤكد أن الإرهاب وقتل المدنيين الأبرياء مُدان، لكن لا يجب أن يكون في فرنسا جريمة لا تغفر، وفي سورية مسألة فيها نظر من قبل ضيفي الأفق وقصيري النظر.

وتأتي كلمات الرئيس الأسد أيضاً، تأكيداً لتحذيرات سورية من مخاطر دعم الإرهاب ومن أجدبيات الخسار ومكافحة الإرهاب، سواء بحاربة الإرهابيين الذين يقتلون أهلنا أو بمكافحة الإرهاب الشاملة في إطارها السياسي والأيولوجي والإعلامي والاقتصادي،

سورية عصية على الهزيمة وخيارها إما النصر أو النصر والعام 2015 سيكون خير شاهد في الجغرافيا والتاريخ

وهي تأتي لترسّخ ثابتاً وقراراً وجاهياً يؤكد أنّ الشعب السوري له الكلمة الفصل في كل قول وفعل.

إنّ الاجتماع المزمع عقده في روسيا هو للتشاور وليس للحوار، وهو دعوة إلى مائدة زائدها وشرابها وإكسبير نجاحها الإيمان بالوطن وسيادته وقراره السيد المستقل ووحدة أرضه وشعبه والانلقاف حول جيشه وتقديس إرادة شعبه وتوحيد الإدارة والإرادة حول مكافحة الإرهاب، تمهيدا لإطلاق الحوار الحقيقي السوري - السوري الهوى والمنى واللسان، الصادق بمحتواه والهادف بيمتغاه والبعيد عن زوائد الوهابية والإخونجية ومزابع الصهيونية وأميركا وأردوغان.

أما من يرفض التشاور والحوار فقد أجابه الميدان وبطولات جيشنا السوري وأجابه وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف بأنه سيكون الخاسر الأكبر، فما هو معروف الآن قد لا يكون معروفاً أبداً، ولنا في الماضي الهول خلال أربع سنوات خلت كثير من العبر، عندما رفضوا الحوار وتوهموا أنهم يملكون السيطرة على الميدان وأنهم يمثلون الشعب السوري الذي تبرا منكم، وما هم الآن يخسرون الميدان العسكري والشعبي وأصبحوا بلا لون أو طعم أو وزن نوعي، بل بقيت روائح الغفن الوهابي الإرهابي الاجنبي تلاحقهم. وتأتي كلمات أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله خلال حديثه التلفزيوني أول من أمس، لتكشف الموازين براً وجواً وبحراً مع العدو «الإسرائيلي» وأدواته الإرهابية، باستراتيجية ما بعد الجليل لتتكامل مع ما بعد بعد حيفا، ليؤكد بالقول والوعد الصادقين أننا الآن نشهد مرحلة ما

بلامبلي ودّع سلام: نثق بحكمته في أيام صعبة جداً



سلام مستقبلاً بلامبلي في السراي

هذا عنصر أساسي للاستقرار في لبنان... واستقبل سلام أيضاً، سفيرة كندا هيلاري شايدلر ز أدامس وجرى عرض

عرض رئيس الحكومة تمام سلام الأوضاع العامة مع زواره في السراي الحكومية أمس، حيث التقى المنسق الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في لبنان ديريك بلامبلي الذي قال بعد اللقاء: «زيارتي للرئيس تمام سلام وداعية لأنني أفاخر لبنان غداً (اليوم) وزيارة شكر على العلاقة بين الأمم المتحدة والحكومة اللبنانية التي هي حجر أساس لكل ما نعمله هنا في لبنان. وشكرت دولة الرئيس على تعاون كل الأجهزة الحكومية معنا في الجنوب وفي كل أنحاء البلاد، وشكرته هو شخصياً على حكمته وصبره وقيادته في أيام صعبة جداً. وكلنا نعتد عليه ونحن في الأمم المتحدة من بين المعتمدين على دولة الرئيس».

وأضاف: «هناك الرئيس سلام أيضاً، على الإنجازات الأمنية الأخيرة في وجه الإرهاب وهي إنجازات حقيقية. وتحدثنا في أحداث الساعة وفي الوضع في الجنوب وأهمية الحفاظ على الهدوء هناك،

خفايا

استغرب وزير

سابق المعايير

المختلفة والمتناقضة

التي ساقها النائب

السابق غطاس

خوري في شهادته

أمام المحكمة الدولية

الخاصة بلبنان،

حيث ميّن بين التمديد

للرئيس الراحل

الياس الهراوي في

العام 1995، وبين

التمديد للرئيس

العماد إميل لحدود في

العام 2004، إذ دافع

عن الأول وهاجم

الثاني، ما دفع الوزير

السابق إلى السؤال:

... وهل هناك تمديد

ب«سمنة» وتمديد

ب«زيت»؟

ميقاتي: انتخاب رئيس يحصن لبنان

شدّد الرئيس نجيب ميقاتي على «أن عودة ظاهرة الانتحاريين والسيارات المفخخة تستدعي المزيد من اليقظة والحذر، لأن من يتربصون شراً بهذا البلد ماضون في مخططاتهم لضرب الأمن في لبنان وإعادة توتير الوضع على نطاق واسع»، معوّلاً على سهر الجيش والقوى الأمنية كافة على حفظ الأمن وتوقيف المجرمين». وأشار ميقاتي خلال لقاءاته الأسبوعية في طرابلس إلى «أن العملية النوعية التي حصلت في سجن رومية، والتي خطط لها سابقاً، من شأنها زيادة تحصين الوضع الأمني وتعزيزه».

وقال: «لا بد من أن نحصي من جديد أهلنا في جبل محسن الذين تلاقوا في الموقف ذاته مع إخوانهم في طرابلس بعد تخجير مسجدتي التقوى والسلام، بإظهارهم عياً كبيراً في مواجهة العمل الإجرامي الآثم وتأكيد الوحدة الطرابلسية ضدّ الإرهاب والتمسك بخيار الدولة وسلطة القانون».

واعتبر ميقاتي «أن أجواء الحوار في مختلف الاتهامات تسهم في تخفيف الاحتقان في الشبار وتبريد الأجواء السياسية، على رغم قناعة الجميع بأنّ المواضيع الخلافية لن تحل بين ليلة وضحاها»، موضحاً «أنّ الأساس هو انتخاب رئيس للجمهورية في أسرع وقت لتحصين الواقع الدستوري في لبنان وتأمين التوازن المعقود حالياً، ورأى «أن إنهاء هذا الملف لا يزال بعيداً، بعض الشيء، نتيجة تداخل الواقع اللبناني مع الملفات الإقليمية والدولية، ما يجعله جزءاً من تسوية على مستوى واقع المنطقة ككل».

وتابع ميقاتي: «هذا الأمر لا يعني الوقوف متفرجين، بل ينبغي توفير أرضية من الحوار الداخلي تسمح بالتوافق على فرض هذا الملف كاتولوجية في هذه المرحلة، لأنّ انتخاب رئيس الجمهورية يحصن الواقع اللبناني في مواجهة الأخطار والشروخ الكثيرة التي نمرّ بها».

الجديد

الأسبوع في ساعة الرئيس أمين الجميل

الأحد 09.30 PM



نشاطات



مراد والأحد

◆ غادر وفد نيابتي ضمّ النواب محمد قبايني، قاسم هاشم ونوار الساحلي إلى تركيا، للمشاركة في اجتماع مؤتمر برلمانات الدول الإسلامية، الذي يتعقد في دورته العاشرة.

◆ ترأس البطريرك الماروني الكاردينال بشارة الراعي في الصرح البطريركي في بركي، سلسلة اجتماعات إدارية وروعية لعدد من مكاتب الدائرة البطريركية.

كما عرض الأوضاع العامة، ولا سيما الوطنية منها، مع كل من رئيس المؤسسة المارونية للانتشار الوزير السابق ميشال إده، نقيب الأطباء الدكتور أنطوان بستاني ورئيس الرابطة المارونية سمير أبي اللمع.

◆ استقبل رئيس حزب الاتحاد الوزير السابق عبد الرحيم مراد، في حضور عضو المكتب السياسي في الحزب هشام طيارة، النائب السابق مصباح الأحدب يرافقه أمين بشير وجرى عرض الأوضاع العامة في البلاد.

◆ استقبل المدير العام لامن العام اللواء عباس إبراهيم الأمين العام للمجلس الأعلى السوري - اللبناني نصري خوري وعرض معه الأوضاع العامة.